

ما رأيت وما سمعت

في سورية ولبنان

للاستاذ حبيب الزحلاوي

- ٣ -

أجبت في مقالتي السابق بعض المسائل الهامة التي تدور في سوريا اليوم ، وقد كان من الضروري شرحها وتبسيطها ليوقف القارئ على حقيقةها ، أما الآن وقد زالت الأسباب التي الجأتني إلى الاجمال دون تفصيل ، وذلك بنقل شركات الأنباء أخبار الاعتداء على العقيد أديب الشيشكلي ، زعيم الانقلاب الثالث والواحدة التي دبرت لرئيس الوزارة والمجلس ، فقد صار من الواجب على أن انبسط في الشرح ، لاعتقادي بأن الأحداث المقبلة قد لا تقف عند حد إطلاق الرصاص على ضابط كبير ، بل هي أعظم وأخطر من التآمر على حياة وزير أو رئيس .

ليست سياسة الحكم ، ولا حب الاستئثار ببقاء الحكم ، ولا اختصام الأحزاب على موارد الكسب عن طريق الحكم ، هي سبب الاضطراب والقلق والخوف الذي يحسه كل سوري ، ولا هي العثرة في طريق الاستقرار المنشود ، إنما مرد ذلك إلى نفرة قائمة بين جيلين يرى الواحد مالا يمكن أن يراه الآخر تمصياً وعناداً ، وينسكب عليه كل عمل يعمله ادعاءً وعنجهية لا لأن أعمال هذا أو ذاك فاسدة أو صحيحة ، بل لأن الجيل الجديد يعمل بروح لا تقوم للملك قائمة بدونه ، وأن هذا الروح لا أثر له البتة في نفوس وعقول أبناء الجيل القديم ، ومن العجب العجيب أن ضباط الجيش قد حشروا ذواتهم حشراً في هذه الخصومة الطبيعية . لا باعتبار أنهم يبيدون عن الآثار النفسية ودرافعها ، بل لأنهم في مستوى عقلي يجعلهم غرباء عن أبناء الجيل المتقلب بين الميوعة والتحجر ، وعن ابن الجيل الجديد التوثب للعمل المجدي صحيح أن السوري من أبناء الجيل السابق قام بأعمال باهرة مجيدة في ميدان الكفاح والدفاع أبنته ، بمد لأي وجهاد ، الغرض الذي سبأ إلى تحقيقه وهو « الاستقلال » ولكن ما قيمة هذا

الاستقلال - في نظر ابن الجيل الجديد - ما قدره والأهواء السياسية تتقاذفه وتلاعب به وأن المتلاعب المسام هو الرجل الذي دافع وكفح لنواله ؟ ؟

بحسن أن نرفع اللثام قليلاً لنبين طرفاً من وجه المسألة المشكلة التي أحدثت النفرة بين الجيلين ، أي النفرة المستحكمة بين الوالد والولد ، فإن فلما نجد أن مسألة « سورية الكبرى » هي المشكلة الكبرى والسبب الأوحدي في كل ما وقع ووقع وسيقع وسوف يقع بين أبناء سورية من جهة واحدة ، وبينهم وبين أبناء العراق وشرق الأردن ولبنان ، نعم ولبنان أيضاً من جهة ثانية ، وأن العملة أو المشكلة ستبقى قائمة ما دامت سياسة الاستعمار البريطاني لم تبلغ كل أغراضها بعد ، وما دامت الأيدي « العربية » المأجورة لأجل تحقيق هذا الغرض عاجزة عن تحقيقه .

ما هو هذا الغرض الذي ترمي إليه سياسة الاستعمار البريطاني؟ ليس الرد على هذا السؤال بالمسير حتى على رجل الشارع في دمشق وبغداد وعمان وبيروت ، لأن سياسة الاستعمار البريطانية التي جملت من الوطن القومي اليهودي « دولة إسرائيل » غير المعترف بها من الدول بعد ، وجملت من لبنان « جمهورية مسيحية » ضمن سلامتها وتمهد بقاءها في وضعها الحالي ، كل من إنجلترا وأمريكا وفرنسا ، تريد أن تجعل من « سورية الكبرى » مملكة إسلامية هاشمية .

من يراجع خطب المطران مبارك ، بل من يراجع الكتاب الأزرق الذي رفقه السيد نوري السعيد إلى وزير الدولة البريطاني مستر كاسبى ، والذي تطوعت جمعية « الاتحاد العربي » في مصر بطبعه وتوزيعه على نفقتها ، هذه الجمعية التي تدعو إلى « اتحاد عربي إسلامي » رأسها المرحوم توفيق دوس باشا القبلي ، ويدير أعمالها بمحنة ونشاط « الشيخ المحترم خليل ثابت بك رئيس تحرير المقطم الأسبق يماونه الخواجه أرفس أيضاً ، أقول من يراجع كتاب السيد نوري السعيد يجد أسباباً اقتصادية واجتماعية وسياسية وجبهة دعتة إلى رفع تقريره إلى وزير الدولة البريطاني بشأن « سورية الكبرى » وبه يقول « ... وبحسبنا العراق إلى منفذ إلى البحر الأبيض المتوسط لنفطه ومنتجانه ، وتحتاج فلسطين التي تتحول بسرعة إلى قطر صناعي إلى أسواقنا

شاحبة كالخمة كلما حاولوا الدنو من الشباب التلم ، الذي لا يخشاه
شك في أن هؤلاء الدعاة ، إن هم إلا خدام أجراء لأسياد غاصيين
مستترين وراء ستار شفاف « هم الانجليز » الذين لا يريدون بهذا
الشرق العربي خيراً إلا الخبز الذي يمسود على رءس العزبة
أو الاقطاعية .

هنا يصطدم الولد بالولد في حدود التقاليد العربية وعادات
الأسرة . هنا تقف الفتاة إلى جانب أخيها تشد عضده وتوازره
وتسانده في رداً يه إلى صراط الوطن ، وعز القومية ، وشرف
الانسانية ، ودفع غائلة الأجنبي المستقوى .

هنا يقف الوالد من أولاده ، يضحك من اعتزازهم بالملم
واغترارهم به ، ويختر من جدم في أمر الوطن والقومية ، ويخطط
على هذا الجيل الذي لم يتعلم ما تعلمه هو في ميدان الجهاد والمنافس .

ليست الفوارق بين جيلين ، ولا اصطدام عقليتين ، ولا
اصطراع الأحزاب ، ولا انصراف التاجر والزارع والمامل إلى
عمله الخاص ، ولا قرارات النواب ، ولا إلزام السلطة التنفيذية
الأمّة بقرارات النواب ، ولا وقوف الجيش يساند هذه الفئة من
أبناء الأمّة ويناصرها أو يخذل تلك الفئة ويتخلى عنها ، ليس كل
هذه الأمور مجتمعة هي التي ستدني أو ستحول دون وقوع
« شجار أهلي » منتظر مرتقب ، إنما الذي سيدنيه أو يحول دونه
أي دون « اضطراب داخلي » هي القوة العسكرية التي ستعرض
سلطانها قرصاً تصفياً على سورية والسوريين ، قهد عرشاً قوامه
الأمّة ، وتقيم عرشاً ليس في وسم الأمّة إنكاره أو التنكر له ،
وأنت . هذه لا تكون حتماً راقية ولا أردنية ولا سورية أيضاً
بل تكون من المرزقة من جميع هؤلاء ، وإن موعد ظهور هذه
القوة في ميدان العمل ، ليس رهنا بمشيئة الأمم العربية ، إنما هو
رهن بالاتفاقات وتبادل المنافع ، وبالظروف السانحة ، وانتهاز
الفرصة . وأزعم أن الانجليز لا يخطون بسرعة هذه الخطوة الحثيئة
هل في وسع شباب سورية الحيلولة دون وقوع هذه الذكبة ؟

مهيب الزهرلوي

لمنتجائها ، وتحتاج إلى نפט ووقود لماملها .. ويكتفى دولته بهذه
الأسباب الاقتصادية لحاف سوريا الكبرى لند فلسطين أي دولة
إسرائيل التي تحوّل إلى قطر صناعي تحتاج معاملة إلى نפט العراق
ويستكت عن السبب الآخر الذي يجعل من سوريا الكبرى مملكة
عربية هاشمية تقف سداً في وجه المملكة السعودية العربية التي
يتحكم الأمريكان في نفلها وينعم أهلها بالدرار والذهب . ناهيك
بوضع شرق الأردن السياسي ومما هدته المهودة مع الانجليز ،
وبالفرق بين وضع سوريا المستقلة السياسي .

لقضية سوريا الكبرى جوانب أخرى خلاف الجانبين السياسي
والاقتصادي ، ولعل الجانب العاطفي فيها هو أكثر الجوانب
جسسية لاتصاله المباشر بالدين الحنيف ، ولالتصاقه بمجد العرب
الذي يتشوق كل مسلم إلى استعادة عزه وساطانه .

من هذا الجانب الحساس ، يتقدم المراق المسلم من سورية
المسلحة ، ومن هذا الجانب الشعوري تتقرب وفود جمعية « الاتحاد
العربي » وم مسيحيون كما عرفت ، من أبناء سورية المسلحة ،
ومن هذا الجانب الديني المقدس يتوود دعاة البيت الهاشمي إلى
رجالات سورية ؛ ولكن إلى أي فئة من أبناء سورية يتقدم
هؤلاء الدعاة وسورية كما عرفت منقسمة إلى قسمين ، جيل قديم
يضع رجله في حفرة القبر وتطلع عينه إلى متع الحياة القرور ،
وجيل جديد يؤمن بمستقبله ، ويسمل له ، ويكافح من أجله ،
ويشيد ببناء ابنة لبنة ، وهو مجد في تكوين ذاته تكويناً
« إيدولوجياً » يبعده من مخاطر الحوف والتلق الرأيس ، ويدنيه
من الاعتماد على النفس بالتربية السياسية وتكوين الأخلاق .

هنا ترى الدعاة المأجورين يتخطرون في مشيتهم ، ويشمخون
بأنوفهم ، وييشون بشاشة ناصلة اللون عندما يتقدمون من الشيوخ
السوريين الواضحين أرجاهم في حفر القبور يحملون لهم الذهب
الانجليزي . والجنيه الانجليزي . والتمضيد الانجليزي ، ثم الأجر
العظيم المرتب عند الله في اليوم الآخر اسكل عامل في خدمة الدين
وعز الاسلام « ومجد العرب !!!

وترى هؤلاء الدعاة أنفسهم ، ينكصون على أعقابهم بوجوه